

مجموعتي أندية الأدباء الحرة

نعت « الماتين » الى قرائها ، في احد اعدادها الاخيرة ، قهوة من قهوات باريس المعدودة وهي القهوة الانكليزية Café Anglais وقالت ان أعضاء « الجوكي كلوب » حضروا احتضارها واحتفلوا تحت رئاسة البرنس يواقيم مورات بتأينها وعزى بعضهم البعض على تصرف انفسها ثم ودعوها الوداع الاخير بأن شربوا مشات من زجاجات الخمر التي طال عليها القدم منها ما يرجع عهد عصيره الى سنة ١٨٧٤ والى سنة ١٨٦٥ والى سنة ١٨٥٨

ومن غريب الاتفاق ، انني بعد مطالعة هذا النعي ، أتاني صديق من زبائن الاسبلندد بار وقال : البقية في حياتك ! فقد عزمت شركة استين على استئجار نصف عمارة انطاخية انطويوية المشرفة على شارع كامل فتصبح الاسبلندد بار ، وهي محط رحال الأدباء ورجال القلم ، أراً بعد عين : ! فأخبرت صديقي بنياً الماتين عن القهوة الانكليزية وقلت له : اذا صحَّ خبرك فليست الاسبلندد بار اول نادٍ حر للأدباء تذهب به الأيام او ينطوي ذكره ولا يخلد له خبر

وربما لا يوجد الآن في مصر عشرة يذكرون قهوة « انطون » وهي قهوة خشبية كانت مجماً للأدباء والمشتغلين بالسياسة والفلسفة في أواخر ايام اسماعيل . ففيها جلس جمال الدين ومحمد عبده وسليم قلا ونحت ظلال اشجارها غرست اول بذرة لفك الشرقيين من قيود الاستعباد الفكري . وبقيت ملتقى لذوي الافكار الناضجة حتى عهد الثورة العراقية . ثم تحولت ندوة للمغنى والرقص « البلدي » وأنشئت في مكانها عمارة بنك الكريدي ليونيه الحاضرة

ورغب الكثيرون من اهل الأدب ، بعد الاحتلال الانكليزي ، عن السياسة وقرغ رجال النهضة الأدبية الى الأدب الخالص فأنخذوا قهوة « كسكوت » بشارع

المشهد الحسيني محطاً لرحلم فكنت ترى في هذه القهوة « البلدية » الشيخ الشنقيطي الكبير ، والشيخ حسن الطويل ، وسلطان بك محمد - أيام كان شيخاً معيماً - والشيخ محمد النجار ، ومحمد افندي ابا الفضل ، والشيخ أحمد القوصي ، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والشيخ سيد المرصفي وغيرهم . وكانت مجالسهم الليلية في هذه القهوة مجالس ادب راقية يتناشدون فيها الشعر وينثرون درر النثر ، ويتنقلون في رياض الأدب والتاريخ والمنطق من القديم الى الحديث . ثم فرقت بينهم أيدي الحدثن فان البعض واشتغل البعض بشؤون الحياة وأصبحت قهوة « ككوت » وقد خلت جوانبها من ذوي الالباب والفظن

وانشقت اساتذة مدرسة دار العلوم وطلبتها عن اخواتهم طلبة الازهر الشريف فتألفت من اولئك حلقة جديدة في « قهوة باب الخلق » كان زعماءها الشيخ أحمد مفتاح والشيخ الحملاوي والشيخ محمود ابو النصر والشيخ محمد المهدي يحيط بهم عدد من الانصار والمريدين من تلاميذ المدارس العالية وطلبة مدرسة المعلمين الناصرية ثم تغلب الاشتغال بالسياسة على النظر في الادب فكانت قهوات عمارة « متاتيا » الواقعة الى جانب البوستان والمحكمة المختلطة مثابة لرجال القلم . فكان يجلس في طرفها المدعو « القهوة العمومية » الشيخ عبد القادر المغربي وعبد الحميد افندي الزهراوي والمرحوم حسين وصفي رضا - أخو صاحب المنار - وامام العبد والشيخ محمد الشرباتي وعهدنا بالآخر ليس بعيداً . فقد كان يجرّر في القهوة كل يوم اربع او خمس جرائد اسبوعية فيأتيه صاحب احدى هذه الجرائد ويدفع له الاجرة فيقوم بعد ساعة ومعهُ كتابة تزيد على حاجة جريدته

واحتل القسم الاوسط المسمى قهوة « جراسمو » المرحوم ابراهيم بك المويلحي والى جانبه احمد افندي فواد صاحب الصاعقة وحافظ بك ابراهيم - قبل ان يضع رواية البؤساء ومحمود افندي واصف

واستأثر بقهوة « اسطبول » - في عمارة متاتيا ايضاً - كتاب الترك الاحرار

الذين نفتهم الحكومة العثمانية في عهد عبد الحميد ففيها كتب محمد افندي قدري - الكاتب التركي العربي الشهير - وأحمد بك سعيد - ناظر الضرائب بخانة العثمانية سابقاً - وصاحب « ميزان » أبلغ رسائلهم التي هزوا بها اركان السلطنة العثمانية وفيها بدأ السيد عبد الرحمن الكواكبي يث آراءه الحرة في اصلاح الشرق وأهله واتخذ بعض الادباء السوريين قهوة « مصوبع » بالفجالة « محلاً مختاراً » لاجتماعهم وكان يرأس هذه الاجتماعات الاستاذ ابراهيم افندي الجمال ويحضرها المرحوم ميشيل الحكيم و ابراهيم افندي النجار والمرحوم خليل الجاويش وأخوه نجيب افندي الجاويش فيقضون ساعة ظهر كل يوم الى جانب البنك فيتناولون « الابر يتف » مزوجاً بما رق وراق من بدائع المشور والمنظوم

ورأقت قهوة الشانز بليزيه في عيني حضرة العالم الفاضل صاحب الهلال ولكنة أبي ان يختلط بزبائنها فألف له حلقة من الادباء وبعض كبار موظفي الحكومة الذين يميلون الى الادب والادباء . فكان يحضر جلستهم كل ليلة سليم بك باخوس مدير الاموال المقررة في محافظة مصر وعزيز بك ابو شعر الموظف في نظارة الاشغال وحبيب بك دبانة من كبار موظفي المالية سابقاً ونعوم بك شقير مدير قلم التاريخ في نظارة الحرية. وكان يتردد اليهم من حين الى آخر الشيخ يوسف الخازن ونجيب افندي مشعلاني واخوه تسيب وانطون الجبل وامين تقي الدين وولي الدين بك يكن وسليم افندي سر كيس . ومع ان القهوة عامة فان الغرف التي حجرت لهذه الفئة المباركة لم يكن يجسر على ولوجها غير اصدقائهم ومن يدعونهم لمشاركتهم في مباحثهم الادبية الرائقة

وكانت « المحروسة بار » معروفة لسنوات خلت بأنها مؤتمر عصبة شاعر الامير احمد بك شوقي . وكان شوقي نقطة الدائرة ويزين المكان بجانبه خليل المطران ويحيط بهم عشرات من ادباء المصريين ورجال القلم الفرنسيين وفي مقدمتهم كاستر وكولورا وغيرها فيقرعون الكاس بالكاس ثم ينصرف كل الى مكتبته

ويعتشق قلمه لمحاربة زميله الذي شرب معه المدامة ساعة ١١
 وزهت دولة التمثيل والممثلين تحت زعامة المطرب المبدع الشيخ سلامة حجازي
 فعمدوا الى « باربريكلي » امام مسرح اسكندر افندي فرح فلم تكن تقع العين
 في هذا البار الأعلى ملحن ينشد دوراً او ممثلة تراجع فصلاً او مترجماً ينقل رواية
 جديدة فني ناحية فهم وأبو العدل وعلى مائدة مريم سماط وميليا ديان . وفي منبرج
 الياس افندي فياض وعبد الرزاق بك عنایت وفي غرفة اللعب جماعة آخرون ممن
 ضايقتهم جلبه زملائهم ففضلوا عليهم كسب او خسارة بضع قروش في لعبة السبعة ونصف
 وأنشأ المسيو « اندريا » في شارع عابدين قهوة خصصها لطلبة مدرسة الحقوق
 الخديوية وعنونها باسم مدرستهم قهاتقوا عليها وانضم اليهم جماعة من طلبة مدرسة
 القضاء الشرعي وبعض طلبة المدارس العالية الذين يسكنون في حي عابدين . فكان
 الجالس في هذه الندوة لا يسمع الا اسم فوستان هيلي ودالوز ومناقشات فتیان
 القضاء في الشؤون الادبية الحاضرة والاحوال السيامية الداخلية . ولبثت هذه القهوة
 زائرة بأهلها حتى أنشئ نادي المدارس العالية وعينت الحكومة بمراقبة التلاميذ
 ومنعتهم عن الاشتغال بالسياسة ثم سميت قهوتهم قهوة « الحزب الوطني » قهوة
 وبار « القمر » ولا يزال الكثيرون من المحامين ورجال النيابة والقضاة الشبان
 يحنون الى هذه القهوة ويذكرون بها أحلى ايامهم التي قضوها فيها مشتغلين بالادب
 ودرس القانون

وقد اندرست هذه الاندية الحرة بتحول الأدباء عنها ولم يبق غير الاسبلندد
 بار التي يهددوننا بزوالها بعد ان رنت في ساحتها اصوات الادباء وأهل السياسة
 عشرين سنة متوالية ولم ينصفها احد بكلمة قبل حضرة الكاتب الفاضل اسكندر
 افندي شاهين رئيس المحررين في جريدة الوطن او بعده اذ كتب عن جمعيتها
 مقالة في مجلة سر كيس منذ سنة هي كل ما أرخت به هذه الندوة السياسية الحرة

نوفيس حبيب

